أهمّية الدّراسة النقدية في تحليل النص الأدبي وفهمه

- مرحلة التعليم الثانوي أنموذجا-

The importance of the criticalstudy in analysing and understanding the literarytext- the secondaryeducation stage As amodel-

إلهام بوشهير[1]

أ.دعبد السلام بن علية♣

تاريخ الإرسال: 2022/12/27	تاريخ القبول: 2023/02/26	تاريخ النشر:2023/05/10

الملخص:

يمثّل النص الأدبي في مرحلة التعليم الثانوي أحد المصادر الهامة في تعليمية اللغة والأدب، إذ يُعدّ المنطلق والمنبع لتدريس جميع الروافد اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وعروض ونقد...الخ، ولهذا نجد الكثير من الباحثين والدّارسين يولون اهتماما كبيرا للنصوص من خلال تحليلها ودراسة أساليبها وتذوّق جماليّاتها وفنّياتها البلاغية، ونظرا لهذه الأهمية البالغة التي يكتسيها النص الأدبي في العملية التعليمية التعلمية، فقد أصبح يُستغلّ في تحقيق أبعادا تربوية وأخلاقية واجتماعية هامة، وذلك من خلال ما تحمله مضامينه من قيم هادفة، منها ما يتعلّق بتنمية جوانب معرفية ووجدانية لدى المتعلم، ومنها ما يتعلّق بتعميق كفاءاته النصية والنقدية وتوسيع معارفه الثقافية، لذا ارتأينا أن نكشف عن أهمية الممارسة النقدية في تحليل النص الأدبي وفهمه ومدى تأثيرها في المتلقّي.

الكلمات المفتاحية: نص أدبي، أدب، نقد، قيم، كفاءة نقدية، متلقي.

[1]مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية جامعة المدية.

bouchherilham26@gmail.com

♣مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية جامعة المدية.

benalia.abdeslam@univ-medea.dz

Abstract:

The literary text in the secondary education stage represents one of the important sources in teaching language and literature, as itis the starting point and source for teaching all linguistic tributaries such as grammar , morphology,rhetoric,prosody,criticism...etc. Thus,many researchers and scholars paygreat attention to texts by analysing them,studying their methods, and appreciating their aesthetics and rhetorical art.

In view of this extreme importance that the literary text occupies in the educational-learningprocess, It has become exploited in achieving important educational,ethical and social aims,through the purposeful values its contents carry,including those related to the development of cognitive and emotional aspects of the learner, and those related to deepening his textual and critical competencies and expanding his cultural knowledge.as a matter of fact ,we decided to reveal the importance of critical practice in Analysing and understanding the literary text and the extent of its impact on the recipient.

***Key words**: literary text, literature, criticism, values, critical competence, recipient.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: إلهام بوشهير bouchherilham26@gmail.com

مقدمة:

لقد أضحى النقد وسيلة من الوسائل المهمة التي تساعد القارئ على قراءة النصوص الأدبية النثرية منها والشعرية قراءة نقدية واعية يتم من خلالها فهم النصوص وتحليلها وتذوّق جمالياتها الفنية وممارسة النقد عليها أصولا وتطبيقا بهدف تقويمها وإصدار الحكم عليها، الأمر الذي يعطي النص خصائصه النوعية من خلال تفسيره، وتقديره، وبيان قيمته وجودة أفكاره، ولغته، وأسلوبه، أو رداءته، وقد أسفرت نتائج الدراسات الأدبية والنقدية أهمية النقد في الحقل التربوي الذي اعتبر أحد العوامل الأساسية التي أسهمت في تطوير الأدب بشكل عام والنص الأدبي بشكل خاص

من خلال إعطاء الفرصة للمتعلم في إكسابه القدرة على التحليل الدقيق والتفكيك لأهم عناصر النص والتنقيب في خباياه والغوص في معانيه.

وعلى هذا الأساس سنحاول في طرحنا هذا الإجابة عن إشكالية تتمحور أساسا حول دور الممارسة النقدية في تحليل النص الأدبي وفهمه في مرحلة التعليم الثانوي.

1.مفهوم النقد الأدبي:

يعتبر مصطلح " النقد الأدبي" مصطلحا مركّبا من لفظتين أي من نقد وأدب، وقد ذهب العديد من الباحثين والدّارسين إلى التّأكيد على صعوبة الاتّفاق والإجماع على إعطاء مفهوم جامع ومانع لهذا المصطلح كونه مفهوما واسع الرؤى، حيث إنّهم قدّموا في شأنهما تعاريف اختلفت باختلاف مرجعياتهم النظرية وتوجهاتهم الفكرية وتخصصاتهم العلمية.

1.2 مفهوم النقد:

إنّ كلمة نقد هي ترجمة لمصطلح (critism) وتقابلها في اللغة الإنجليزية (Criticism) وهي مأخوذة من الكلمة اليونانية (Krinein) والتي تعني حكم أو تقدير أو قاضي[1].

وجاء في معجم المصطلحات العربية أنّ النقد هو:" فنّ تقويم الأعمال الأدبية والفنّية، وتحليلها تحليلا قائما على أساس علمي، وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصادرها، وصحة نّصها، وإنشاؤها وصفاتها وتاريخها"[2]، ويعني كذلك تقويم " تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبيح"[3]. ويقصد بذلك تقويم المنجز الأدبي لمعرفة نقاط القوة والضعف فيه من خلال التركيز على اللغة والأسلوب وعاطفة الشاعر والإبداع وغيرها، ويعرّف "أحمد شايب" النقد في أدقّ معانيه بأنّه:" دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها، أو المقابلة، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها

ودرجتها، ويجري هذا في العلوم والفنون وفي كل شيء متّصل بالحياة"[4]. وهذا يعني أنّ النّقد يختص بتقويم وفحص كل الآداب والفنون والعلوم المتعلّقة بجميع مجالات الحياة ثم القيام بإجراء موازنة بينها وبين نظيرتها حتى يتم إصدار الحكم عليها بالجيد أو الرديء، وفي ذات السياق يعتبر النقد فن من الفنون التي تساعد الناقد على إصدار الأحكام على الأشياء الفنية والأدبية بعد فهم خصائصها ومزاياها، ثم تعرض للناس هذا الحكم بقالب فني أدبي، وينطوي قبل كل شيء على فهم الأثر الأدبي وإدراك مواطن الجمال أو القبح الذي فيه، ثم ينتقل الناقد بعدها إلى إصدار الحكم بكل موضوعية بعيدا عن الذاتية ومتجرّدا عن ميولاته ونزعاته الخاصة ثم يصوغ هذا الحكم بعبارة فنية يعرضها على الناس[5].

2-2 مفهوم الأدب:

الأدب هو ترجمة لمصطلح (Littérature) ويقابلها باللغة الإنجليزية(Literature) وهي كلمة مأخوذة من (Litera) وهي بذلك توحي بالأدب المكتوب أو المطبوع[6].

ولقد اتّسعت كلمة أدب منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا هذا وأصبحت تشمل جميع علوم العربية كالنحو واللغة وعلم الشعر والعروض والنقد والبلاغة وما يرتبط بها، واعتبر ابن خلدون الأدب في عصره أنّه:" الأخذ من كل علم بطرف، يقول:"...ثمّ إنّهم أرادوا تعريف هذا الفن فقالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف، يريدون من علم اللسان والعلوم الشرعية"[7]. ثمّ أخذ هذا المفهوم ينحصر ويتخصّص مع الزمن، وينفصل عن العلم والعلماء فأصبح الأديب هو الكاتب أو الشاعر أو من يزاول الأدب حرفة كما وضّح القلقشندي ذلك.

وفي العصر الحديث أصبح للكلمة معنيان مختلفان: أحدهما الأدب بمعناه العام وهو الإنتاج العقلي الذي يعتمد على الكلمة كأداة تعبير مهما يكن موضوعه وأسلوبه، سواء أكان علما أم فلسفة أم طبيعة مادام أنّه يصدر عن العقل الإنساني، والثاني

الأدب بمعناه الخاص المتعارف عليه من شعر ونثر أدبي كالرسالة أو الخطبة أو المقالة أو القصة ممّا يتّصل بالعقل والقلب معا"[8].

والأدب بمعناه الخاص هو تعبير مبدع عن الذّات بلغة مؤثّرة ومناسبة، أو هو إعادة صياغة للحياة أو تأثيرها على النفس بأسلوب راق"[9]. وهذا التعريف يركّز على ثلاثة عناصر أساسية تشترك جميعها في خدمة النص الأدبي وهي: الأديب الذي كتب النص وأنتجه، والعنصر الثاني هو المتلقّي الذي يقرأ النص، والثالث هو موضوع النص الذي تتداخل فيه لغة الأديب والعاطفة والخيال والإبداع وغيرها، وهذا الأدب بمعناه الخاص هو الذي نعنى بدراسته في النصوص الأدبية من خلال تركيزه على ماهية تذوّق النصوص ودراسة أساليبها الفنية والجمالية وإبراز المشاعر والأحاسيس التي تكنّها النفس البشرية والتي يكون لها تأثير كبير في المتلقّي من خلال تحريك مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته حتى يتمّ التفاعل معها والدخول في عالمها، وتلك هي الوظيفة الأسمى التي يسعى الأدب من تحقيقها في المتلقّي، كما أنّه يخاطب القلب والوجدان والمشاعر لا العقل الذي يرتبط بالمنطق وبالمفاهيم المجرّدة والحقائق والنظريات العلمية.

فالأدب هو " كل ما عبّر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب لغوي جميل"[10]. وهو أيضا فن من الفنون الجميلة التي يعبّر بها عن مشاعر النفس من عاطفة و أحاسيس وانفعالات....، ويفهم من هذا أنّ الأدب هو فن وليس علما، فالأديب المبدع هو من يمتلك مهارة الفن في الإنتاج والإبداع، أمّا الناقد الماهر هو من يستطيع قراءة نفسية الأديب من خلال معرفته للعوامل والظروف التي دفعته لإبداع أدبه.

1.3مفهوم النقد الأدبي:

النقد الأدبي هو فن تقويم النص الأدبي وذلك بتمييز الجيد من الرديء من فنون القول – والمسرحية منها- بالتقدير الصحيح للعمل الأدبي الذي يوضّح قيمته في ذاته وبدرجة جودته ورداءته وإصدار الأحكام الموضوعية عليه من خلال الدراسة والتحليل

والتعليل والتفسير، وأنّ التقييم والتقدير للأدب لابدّ من أن ينبعث من ملكة ذوّاقة وفطرة سليمة، من إلمام بالأصول والقواعد الفنية التي تمكّن الناقد من إصدار حكم سليم على العمل الأدبي بالجودة أو الرداءة مع التعليل المقنع للحكم الصادر على المنتج الأدبي، حتى وإن قام على ملكة التذوق الفردية[11]. فلابدّ من النّاقد أن يكون ملمّا بمختلف القواعد والأسس التي يستطيع الاحتكام عليها لتقويم الأعمال الأدبية وفحصها وتبيين درجة حسنها وقبحها، كما يجب عليه كذلك أن يتمتّع بإحساس مرهف ورقيق لكي يساعده على معايشة الظروف التي عاشها الأديب أثناء كتابته لنصه، إضافة إلى سعة اطّلاعه لمختلف الآداب والفنون والثقافات التي تساعده على الكشف عن مواطن الإبداع في النص الأدبي المراد نقده، وكذا حفظه للأشعار والمتون التي تكسبه مهارة التذوق الفني والنقدي من خلال قراءته لمختلف أنواع النصوص الأدبية النثرية منها والشعرية حتى يستطيع في النهاية من إبداء رأيه فيها والحكم عليها ومقارنتها بأعمال أدبية أخرى.

وهذا يعني أنّ النقد الأدبي متّصل اتصالا كبيرا بجملة العلوم والفنون، فهو من ناحية متصل بالإبداع أو الخلق أو الإنشاء، والنقد أقلّ من الإبداع؛ لأنّه ينتظره حتى يتمّ، فإذا تمّ حكم عليه النقد بالحسن أو القبح[12].

3. عناصر العمل الأدبي:

يقوم العمل الأدبي على عناصر أساسية تشترك فيها جميع الأجناس الأدبية سواء أكانت قصيدة أم مقالة أم مسرحية أم قصة، وهذه العناصر يمكن أن تقسم تقسيما تقريبيا إلى أربعة أقسام وهي: أوّلها العنصر العقلي؛ ويتمثل في الفكرة التي يأتي به الكاتب ليبني منها موضوعه، والتي يعبّر عنها في عمله الفنّي، ثمّ تأتي العاطفة؛ وهي عنصر مهم في الأدب، حيث يتمّ من خلالها تحديد نوع عاطفة الأديب إن كانت صادقة أو كاذبة مع تأكيد مدى قوّتها أو ضعفها، ويتجلّى ذلك في المشاعر والأحاسيس والوجدان

الذي يثيره الموضوع في نفسه وكذا في نفسية القارئ؛ لأنّ الأدب أداته العواطف وهو الذي يحدث عن شعور الكاتب ويثير شعور القارئ ويسجّل أدقّ مشاعر الحياة وأعمقها[13]، فإثارة العواطف هي العنصر الظاهر في الأدب، فإذا كانت هذه الإثارة هي أهم غرض للكاتب أو الأديب كان لنا من هذا شعر أو أدب كفن من الفنون الجميلة، وإذا لم يثر هذه الإثارة بحال من الأحوال صعب أن نسمّيه أدبا، بل ربّما كان علما وإذا كانت الإثارة وسيلة لا غاية فقصد إليها الأديب أو كان غرضا عرضيا لا أساسيا قلنا: إن على هذه الكتابة مسحة من الأدب بقدر ما فيها من إثارة العواطف[14]. أمّا العنصر الثالث يتمثل في الخيال؛ وهو ضروري في كل أنواع الأدب ويشمل النوع الخفيف الذي نسمّيه fancy الوهم وهو القدرة على التأمّل العميق في العمل الأدبي الذي يأخذ القارئ المتلقّي إلى عالم آخر من التخيّلات والصور التي تجعله عنصرا كائنا فيها فيتمثّلها. والعنصر الأخير هو العنصر الفني أو عنصر التأليف والأسلوب حيث يعتبر قوام العمل الأدبي، فالقارئ الناقد يحكم على العمل الأدبي من خلال لغة وأسلوب الكاتب الذي يظهر في نظم أفكاره واستثارة عواطفه وأحاسيسه وتجاربه وأغراضه الفنية، فالمؤلّف يختار المادة وينظمها وفقا لغرض خاص، وهو بذلك يركّز على الشكل الجوهري للأشياء في العالم المرئي وغير المرئي، وبالتالي فإنّ نظم الكلام وتأليفه هو ليس غاية في حدّ ذاته بل وسيلة للتعبير عن ما لديه من أفكار وآراء، ولكن له من القوة ما يجعله عنصرا قائما بنفسه، والأدب يؤثر ما يؤثّر بعناصره الأربعة وليس لعنصر وحده قيمة إلاّ بتأثير باقي العناصر الثلاثة[15]. فكلّ عنصر من هذه العناصر يرتبط بالآخر ويؤثّر فيه ومن هنا تتّضح طبيعة العلاقة التكاملية التي تؤدّيها هذه العناصر مع بعضها البعض لتشكل وحدة متماسكة موضوعها الأدب.

4. إسهامات النقاد في تطوّر الأدب بشكل عام:

إنّ دراسة الأدب العربي وتطوّره من القضايا الكبرى التي شغلت الباحثين في العصر الحديث، بل لعل الأدب كان يعتبر المنطلق الأوسع للفكر العربي الإسلامي ولقد دخلت المناهج الوافدة إلى الجامعات والصحافة والثقافة، ولقد حمل الأدب العربي منذ صدر الإسلام إلى أنه وضع في بوتقة المناهج النقدية، ولقد كان من الضروري بعد أن مرّ الآن أكثر من خمسين عاما على تطبيق هذه المناهج. وهذا هو ما تردّد الكثيرون عليه من المشتغلين بالأدب العربي وبالنقد بالذات أن يواجهوه ويفصلوا فيه حتى أصبح منهج النقد الأدبي الحديث من المسلّمات التي تناقش دون أن يتبيّن للباحثين مدى التقائه ومدى اختلافه مع خصائص الأدب العربي في ضوء أصالته ولقد كان من الضروري أن تقوم هذه المحاولة لتفتح الطريق إلى منهج عربي إسلامي في تاريخ الأدب ونقده خاصة وأنّ كثيرا من الأعلام والنقاد طرقوا هذا الباب وأرهصوا بالرغبة إلى التماس الأصالة في مجال الأدب العربي استكمالا لهذه المحاولات التي تجري في مختلف ميادين الفكر الإسلامي[16].

إنّ أوّل أهداف الأدب في عصرنا هو التحرّر من التبعية للغرب في شتى صوره، وقد ظلّ الفكر العربي في صراع دائم للتحرّر من هيمنة الثقافات الغربية التي طغت عليه حتى تمكّن من الانتصار وتحطيم هذه القيود بفضل ما يملكه من قوّة ذاتية وقيم أصيلة. ذلك أنّ المحاولة الكبرى التي جرت منذ أوائل العصر الحديث إنّما كانت ولا تزال تستهدف أن ينصهر الأدب العربي في مناهج الآداب الغربية وقوانينها وأن تكون هذه المناهج حاكمة عليه في مجالات النقد والإنشاء والأسلوب والمضمون وفي الشعر والنثر والقصة[17].

والسؤال المطروح: لماذا نكون تابعين لمدارس معينة في النقد الأدبي ولا تكون نظريتنا الأصيلة ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا؟

لقد كان لأدبائنا في عصور الأدب العربي نظرياتهم ومناهجهم التي شكلوها في ضوء إنتاجهم فلماذا لا نستمدّ منها لبناء نظرية في النقد الأدبي جديدة وأصيلة في نفس الوقت؟

إنّ هذا الأدب لا يدرس على ضوء مناهج وضعت لآداب أخرى ذلك أنّ أساليب النقد والبحث إنّما توضع للآداب بعد ظهور هذه الآداب ولذلك فهي مستمدة منها ولا يمكن العكس ، كما أنّ مذاهب الأدب التي يحاول النقاد محاكمة الأدب العربي عليها هي في جملتها مذاهب غربية، وضّحت مسمّياتها ومناهجها بعد قيام ظواهرها في الآداب الأوروبية، وهي في الحق ليست مذاهب وإنّما هي أسماء عصور: كالكلاسيكية والرومانتيكية وغيرها، وهي تتّصل في مجموعها بتاريخ الأمم التي وضعت هذه المذاهب[18].

والناقدون والأدباء تناولوا دراسة تاريخ الأدب من نواح مختلفة فبعضهم تناوله من الناحية التاريخية، فهم مثلا يدرسون العصر الجاهلي ثم العصر الإسلامي ثم العصر العباسي، وحجّتهم في ذلك أنّ الأدب ظل للحياة الاجتماعية وممثّل لها، ولا يمكن فهم الأدب حق الفهم إلاّ إذا فهمت البيئة التي أنتجته. فمثلا لا يمكننا أن نفهم قصيدة طرفة إلاّ إذا فهمنا حالة البيئة التي كان يعيش فيها طرفة، ولا يمكننا فهم شعر المتنبي إلاّ إذا فهمنا الأوساط التي جال فيها وقال فيها قصائده[19].

ومن هنا يمكن القول أنّ دراسة الأدب العربي ونقده تختلف من منهج إلى آخر في ظل بروز المناهج النقدية والمذاهب الأدبية المختلفة أبرزها الرومنسية والكلاسيكية والواقعية، حيث استمدّ العديد من الشعراء والأدباء والنقّاد منها بعض أسسها وأصولها التي كان لها التأثير البالغ في إبداعهم الأدبي والنقدي، كما يرجع تطوّر الأدب بشكل عام بظهور النقد الأدبي وتأسيسه، حيث ظهر النقد بظهور الأدب، وأوّل ما ظهر في النصوص الشعرية لأسبقية الشعر على النثر، كما كان للمؤلّفات النقدية والثقافية إسهاما مباشرا في تطوّر الأدب من خلال بروز عدد كبير من النقّاد العرب في مختلف العصور أبرزهم

طه حسين والعقاد ومحمد مندور الذي يعتبر شيخ النقّاد في الأدب الحديث، حيث كان لهم الفضل في المساهمة في تقويم المنجزات الأدبية والثقافية بشكل عام.

5. النص الأدبي:

5. 1مفهوم النص الأدبي:

يشير النص الأدبي إلى مفهومين: النص والأدب، أمّا النص فهو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلّف وجمعها نصوص، والثاني الأدب بمعناه الخاص المتعارف عليه من شعر ونثر أدبي كالرسالة أو الخطبة أو المقالة أو القصة ممّا يتصل بالعقل والقلب معا، ويكاد يكون هذان المعنيان مفهومين عالميين يتّفق عليهما العلماء في كل مكان[20]. كما يقصد به كذلك قطعا تختار من التراث الأدبي ويتوافر لها حظ من الجمال الفني، وتعرض على التلاميذ فكرة متكاملة، أو عدّة أفكار مترابطة، ويمكن اتّخاذها أساس لأخذ التلاميذ بالتذوّق الأدبي مع الاكتفاء ببعض الصور السهلة، ففي الصفوف المتقدمة من المرحلة الإعدادية ومع شيء من السعة والتعمّق في المرحلة الثانوية كما يمكن اتخاذها مصدرا لبعض الأحكام الأدبية التي تدخل في بناء تاريخ الأدب، وتنسيق حقائقه لعصر من العصور أو لفن من الفنون أو لأدب من الأدباء[21]. والنص من الناحية البيداغوجية هو عبارة عن وحدة لغوية ذات وظيفة تواصلية تحمل في طيّاتها مجموعة من المعارف والأفكار التي تتوافر على خصائص فنية وجمالية تسهم في تنمية الذوق الأدبي والفني للمتعلّمين.

"فالنص الأدبي مهما كانت صفته أو موضوعه فإنّه يظهر بنية تجريدية افتراضية، وهذا لكي يميّز حضوره واستقلاليّته داخل الحقل الثقافي"[22].

5. 2خصائص النص الأدبي:

يتّصف النص الأدبي بخصائص ومواصفات عديدة تميّزه عن باقي الخطابات والنصوص العديدة كونه " نص يستخدم اللغة استخداما خاصا ضمن الفضاء الواسع لقواعد اللغة، ويبني عليها أنساقا لغوية تحمل بصمات شخصية فريدة، فالنص الأدبي نص لا يغرق في استعمال البرهان العقلي، ولا التحليل المنطقي، إنّما يستخدم الأسلوب البياني القائم على الإقناع والتأثير والإيحاء، ومخاطبة الوجدان والعاطفة، وهذا ما يسمّى بالخطاب الشعري المعتمد على الخيال، وبناء الصور الفنية، كما أنّه يتميّز بوظيفة إثارة المشاعر والانفعالات بفضل المواقف والأفكار والأطروحات التي يضمنها، فهو قوي التأثير في المتلقّي، يشاركه أحاسيسه ورؤاه انطلاقا من التجارب الإنسانية التي يبلغها الكاتب أو الشاعر"[23]. وهذه الميزة هي العنصر الأساس في النصوص الأدبية التي تهدف إلى التأثير في المتلقي وإثارة مشاعره وعواطفه ووجدانه بفضل ما تحمله من تجارب إنسانية قد عاشها الأدباء أو الشعراء أو خيالية تمّ تجسيدها في قوالب فنية تعرض أفكارهم وأحاسيسهم وآراءهم الشخصية وتجاربهم الخاصة في الحياة، بالإضافة إلى ذلك فإنّ النص الواحد قد يحتمل عدة معان قابلة للتأويل بحيث تختلف من قارئ إلى آخر حسب درجة مستواه العلمي، لأنّ القارئ المبتدئ غير الناقد المتمرّن الذي تكون له رؤى خاصة ومنهج خاص لتقويم المنجز الأدبي من خلال المعاني الخفية المبثوثة في مضامينه، كما نلمس من خلال قراءتنا لبعض النصوص الأدبية في المرحلة الثانوية عنصر الإبداع الذي تمتزج فيه النصوص" بذات مبدعة لدرجة التوحّد، فالأديب متموضع بقوّة في نصّه"[24].

وتتمحور المناهج التي تحاول تذوق النص الأدبي في اتّجاهين كبيرين: الاتجاه الأوّل يتناول النص من الخارج، بكل ما يحيط به وبالمؤلّف من ظروف وأشياء، كالمنهج النفسي والتاريخي والاجتماعي، والثاني يدرس النص من داخله ويسعى إلى الكشف عن العلاقات

الداخلية التي تتحكّم به دون اللجوء إلى السياقات الخارجية للنص، كالمنهج الشكلاني الروسي، ومدرسة النقد الجديدة الأمريكية، والمنهج البنوي[25].

فالنص الأدبي من هذا المنطلق" يسعى إلى ربط علاقة بين طرفين مجهولين، وعنصرين غير محدّدين هما: المؤلف وتوقّعاته ومواقفه تجاه السلوك المرتقب للقارئ، والقارئ وفرضياته حول النوايا الحقيقية للمؤلف"[26].

5. 3 أهمية تدريس النص الأدبي في المرحلة الثانوية:

يمثّل النص الأدبي في مرحلة التعليم الثانوي أحد المصادر الهامة في تعليمية اللغة والأدب، إذ يعدّ المنطلق والمنبع لتدريس جميع الروافد اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وعروض ونقد ...الخ، ولهذا نجد الكثير من الباحثين والدّارسين يُولُون اهتماما كبيرا للنصوص من خلال تحليلها ودراسة أساليبها وتذوّق جمالياتها وفنيّاتها البلاغية واكتشاف مظاهر اتّساقها وانسجامها وتحديد أنماطها؛ "لأنّ النصوص الجيّدة البناء والتّماسك تُسهم في بناء عقلية منظّمة قادرة على التّعامل المنهجي و المنطقي مع المعارف و المعلومات و على اكتساب مهارات نصّية متعددّة، و كذلك اكتساب أنواع التفكير والتحليل المنهجي"[27].كما أنّ الأدب له دور مهم في إثراء فكر القارئ والمتعلّم والارتقاء به إلى مستوى أعلى من خلال تزويده بمختلف المعارف والمعلومات والأفكار، كما أنّه ينمّي فيه القيم التربوية والروحية و الخلقية والإنسانية وغيرها التي تهدف إلى بناء شخصيته وتهذيبها وتوجيه سلوكها توجيها إيجابيا نحو موقف ما.

وإذا تحدّثنا عن أهمية النص الأدبي في هذه المرحلة فإنّه يسعى إلى تحقيق غايات وأبعاد تربوية مهمّة بالنسبة للمتعلّم، منها ما يتعلّق بالجانب العقلي كصقل عقول المتعلّمين وتهذيبها، ناهيك عن تعميق الجوانب اللغوية والثقافية والمعرفية والوجدانية، وذلك من خلال ما يتوافر عليه من معطيات لغوية و خصائص جمالية وأساليب بلاغية تُسهم في تنمية ثروتهم اللغوية وتربية ذوقهم الفنّي والبلاغي وإثراء رصيدهم اللغوي، ممّا

يدفعهم إلى الإقبال نحو قراءة مختلف أنواعها والتمتّع بخصائصها وأبعادها خدمة لإثراء الملكة اللغوية التي تهدف إلى إكساب المتعلّمين المهارات اللازمة التي تمكّنهم من استعمال اللغة العربية استعمالا صحيحا يقودهم إلى توظيفها في مواقف ووضعيات تواصلية ذات دلالة مشافهة وكتابة، كما أنّها تساعده على تنمية قدراته الفكرية وتطوير مهاراته الإبداعية والنقدية خاصة مهارة التعامل مع مختلف أنواع النصوص، وذلك بهدف إكسابه كفاءة نصية ونقدية تمّكنه من قراءة وفهم النصوص وإنتاجها مشافهة وكتابة دون أخطاء لغوية، ثم تقويمها وإصدار الأحكام عليها.

ولقد أدرك المربون أهمّية تدريس الأدب وأخذوا ينظرون إليه نظرة شاملة يحيطون فيها بكل ما يتعلّمه الطلبة من فنون وما يتذوّقون فيه من جماليات فنية وبلاغية في مراحل التعليم المختلفة كونه وسيلة مهمة تهدف إلى " تقويم ألسنتة الطلبة وتوسيع آفاقهم وتنمية ثقافتهم وخبراتهم وتربية شخصيّتهم وصقل نفوسهم وتهذيبها، كما أنّها تدرّبهم على حسن الأداء وجودة الإلقاء وتمثيل المعنى والتّشجيع على حفظ الأقوال الجميلة وتنمية الإحساس بالجمال من خلال التمرّس بالصور الأدبية والتعبيرات التي يبدعها الأدباء"[28]. كما أنّها تزيد من قدرتهم على فهم النصوص وتحليلها ونقدها، وكذا مساعدتهم على تقييم عمل الآخرين ونقد أعمالهم الذّاتية[29]. ومن هنا فإنّه يقوم بتشجيع أصحاب المواهب الأدبية من الطلاب وإتاحة الفرصة لهم لتنمية مواهبهم في مختلف الفنون الأدبية[30]، إضافة إلى إسهاماته الجليلة في " بناء وتكوين الأجيال وتربية الشعوب، فربّما لا تنهض أمّة ما ما لم يتوافر لديها قوى مادّية وثروات وآلات بقدر ما تنهض بالمبادئ والمُثُل وأساليب التّفكير وألوان السلوك"[31]. كما يسهم النص الأدبي في هذه المرحلة من تعريف التلاميذ بالكتّاب والشعراء، وتبيان خصائصهم الأدبية والفنّية، بالإضافة إلى معرفة مراحل تطوّر الأدب العربي والعوامل التي ساعدت على رقيّه، والأساليب التي أدّت إلى ضعفه في بعض الفترات، لتعين هذه الثقافة على

اتّصالهم به، والإفادة من تراثه[32]. إضافة إلى هذه المعارف الأدبية واللغوية والفنية التي تحقّقها النصوص الأدبية، فإنّها تتمتّع بوظيفة أخرى تتمثّل في معرفة القيم والأبعاد التربوية والأنساق الاجتماعية لأنّ:" قراءة المتعلّم للنصوص الأدبية تساعده على تشخيص الجدلية الاجتماعية، ومن ثمة إدراك صورته في واقع الحياة اليومية عبر آليات التماهي والإسقاط"[33]. ممّا يجعل القارئ على وعي وإدراك تامّ في فهم الطبيعة الإنسانية والبيئة اللغوية، لأنّ الأدب يرتبط بجميع مجالات الحياة.

وفي ذات السياق فقد أكّد " أمبرتو إيكو " أنّ الأدب يحافظ على اشتغال اللغة كتراث جماعي فيخلق هوية متجانسة، كما يحافظ على اشتغال اللغة الفردية لأنه أداة لتنمية اللغة لدى المتعلم و معرفة الأساليب اللغوية و المفاهيم الأدبية ولأجل اكتساب مهارات الفهم والتّحليل والتفكيك، و لنقل القيم الإنسانية و التعرّف على أنواع أساليب الكتابة و وظائفها[34]. يفهم من هذا أنّ الأدب هو وسيلة للتعبير والتواصل بين أفراد المجتمعات، حيث يسهم في ترقية فكر المتعلم وتزويده بمختلف الأفكار والقيم التي تساعده على دراسة وتحليل النصوص، كما يشكّل كذلك لغة وثقافة وهوية وحضارة كل شعوب الأرض، فلا يمكننا مثلا معرفة حضارة من الحضارات العربية أو العالمية إلاّ من خلال التعرف على أدبها.

5. 4 آليات الممارسة النقدية لدراسة نص أدبي:

حرصا منّا على رصد أهمية الممارسة النقدية في تحليل النصوص الأدبية وفهمها في المرحلة الثانوية قمنا بمساءلة الوثائق التربوية بدءا بالكتاب المدرسي والمنهاج والوثيقة المرافقة له ودليل الأستاذ واتّضح لنا من خلال قراءتها وتفحّصها أنّها تتّفق جميعها في منهجية واحدة نوجزها في العناصر الآتية:

1- **أتعرّف على صاحب النص:** وهي عبارة عن تقديم نبذة موجزة عن صاحب النص وحياة الأديب وما يتعلّق بعصره الذي عاش فيه والبيئة اللغوية التي نشأ فيها مع ذكر

مناسبة النص، وهذه الخطوة كانت سائدة منذ القدم وليست طريقة جديدة في دراسة النص الأدبي.

2- **تقديم موضوع النص:** هي عبارة عن فقرة صغيرة لا تتعدّى ثلاثة أسطر، حيث يقوم فيها الأستاذ بإعطاء لمحة عامة وموجزة عن النص قصد توجيه متعلّميه إلى بعض القضايا التي يعرفونها، والتي يُفترض أن تكون لها علاقة بالنص المدروس باعتبارها مدخلا مُهمّا للولوج في عالم النص، ثم ينتقل بعدا مباشرة إلى قراءة النص حيث يقرأ الأستاذ النص قراءة نموذجية سليمة ومعبّرة محترما في ذلك مخارج الحروف والأداء مع تمثيل المعاني، بحيث يصوّر في قراءته ما يزخر به النص من عواطف وقوّة وتأثير، ثمّ تأتي بعدها القراءات الفردية حيث يكلّف فيها مجموعة من المتعلمين لقراءة النص (جزء من النص)، مع عناية الأستاذ بتصويب الأخطاء إن وُجدت بحيث يكون التصويب آنيا بعد انتهاء المتعلم من قراءة الفقرة حتى لا يثبت الخطأ في أذهان المتعلمين ويتمّ تجنّبه لاحقا.

3- **أثري رصيدي اللغوي:** وهي الخطوة التي تلي تقديم موضوع النص وتسبق اكتشاف معطيات النص ويتمّ إثراء الرصيد من خلال ما جاء في النص لذلك ينبغي أن تأتي بعد عرضه مباشرة، وفي هذه الخطوة يتمّ التركيز على شرح الكلمات المفتاحية المبهمة التي استغلق فهمها عند بعض المتعلّمين من أجل فهم معاني النص ثمّ التعرّض إلى ما توحي به من دلالات انطلاقا من السياق الذي وُظّفت من أجله، ذلك أنّ دراسة النص تنطلق من أدواته المشكلة لنظمه، فإنّها تصل بالدارس إلى الشرح الصحيح وليس على الأستاذ أن يكثر من الشرح اللغوي للكلمات والتراكيب وإنّما ينبغي أن يتوقّف على بعضها بما يجده كافيا لإدراك المتعلّم للمعنى الصحيح الذي يساعده على الفهم.

4- **اكتشاف معطيات النص:** تمثّل هذه الخطوة أرضية الانطلاق في دراسة النص من خلال الكشف عن ما يتوافر عليه النص من معان وأفكار ومن مشاعر وانفعالات

وعواطف ومن تعابير حقيقية ومجازية وأساليب بلاغية...، بالإضافة إلى موقف الأديب وغرضه من إنشاء النص.

5- مناقشة معطيات النص: والمناقشة أهم مرحلة في دراسة النص الأدبي حيث تعطى الفرصة فيها للمتعلم لمناقشة كل المعطيات التي يتضمّنها النص ويكون ذلك بتوجيه من الأستاذ الذي على يحرص على طرح مجموعة من الأسئلة التي لها علاقة بالنص المدروس لتمكين المتعلّم من الوقوف على دراسة النص ونقده بما يهتدي به إلى الغوص في معانيه وفهم مقاصده وخباياه وظروف إنتاجه، كما يقف فيها على دراسة أسلوبه من حيث وضوحه أو غموضه ودقّة ألفاظه وتراكيبه وأساليبه البلاغية والفنية التي يتم من خلالها استخراج الصور البيانية وتبيين أثرها البلاغي في النص، إضافة إلى دراسة عاطفة الكاتب من حيث نوعها أكانت صادقة أم كاذبة ثمّ الحكم عليها وبيان قيمتها ومدى قوّتها وتأثيرها في نفسيّة القارئ .

تعدّ هذه المرحلة مهمة جدا بالنسبة للمتعلّم لأنّها تمكّنه من " تسخير مكتسباته ليسلّط ملكته النقدية على المعطيات الواردة في النص بشكل إبداعي متعمّق بعيد عن السطحية والأحكام النمطية والمهم ألاّ يكون النقد وصفيا، نمطيا، يغلب عليه طابع النمذجة، وإنّما يتيح الفرصة للمتعلّمين أن يتأولوا ويتوغلوا باقتراحاتهم في طرح أكبر قدر ممكن من البدائل والمعاني المختزنة في اتساق النص ومجازاته"[35].

وكما هو واضح فإنّ هذه المرحلة هي تطبيق لمبادئ المقاربة بالكفاءات التي نصت عليها المناهج التربوية الحديثة، بحيث إنّها تشرك المتعلّم وتقحمه في بناء تعلماته من خلال استثمار مكتسباته وخبراته ومهاراته خاصة النقدية التي تظهر في طريقة تحليله وتقويمه للنص المدروس. وهذا ما وجب من الأستاذ التركيز عليه لمتعلّميه من خلال تنمية مهارة حسهم النقدي، وإثارة دافعيتهم وتحفيزهم بتنشيط وضعيات التعلّم التي تستهدف استثمار مكتسباتهم القبلية وتسليط ملكتهم النقدية على المعطيات الواردة في

النص بعد أن يكون المتعلّم قد قرأ النص الأدبي قراءة معمّقة وواعية تساعده على النقد الإبداعي. والسؤال المطروح هل النصوص الأدبية المختارة تحمل عنصر الإبداع؟ وهل يستطيع المتعلم على ضوئها تقييم أبعادها الفكرية والفنية والتوغّل في المعاني المنزاحة في أنساق النص؟

إنّ مثل هذه التساؤلات تجعلنا نصرّح من خلال تفحّصنا لبعض أسئلة النصوص الأدبية الموجودة في الكتاب المدرسي في مستوياته الثلاثة أنّ هناك اختلاف وتباين في كل مستوى فمثلا في السنتين الأولى والثانية ثانوي نلحظ إدراج عنصر التقويم النقدي الذي يسهم في إكساب المتعلمين ملكة النقد ويمكّنهم من استخلاص الأحكام النقدية من النص المدروس، أمّا في السنة الثالثة ثانوي التي تعتبر تتويج للبكالوريا فنجد غياب هذا العنصر في شعبة وإدراجه في شعبة أخرى.

6- تحديد بناء النص: الغرض من هذه الخطوة تحديد النمط الغالب على النص إن كان حجاجيا أو سرديا أو وصفيا أو تفسيريا ....، واستخراج أهم مؤشّراته وخصائصه حتى يتمكّن المتعلّمين من إنتاج نصوص مشافهة وكتابة بتوظيف النمط المدروس.

7- تفحّص الاتّساق والانسجام في تركيب فقرات النص: تعدّ هذه المرحلة من أهمّ المراحل في دراسة النص الأدبي حيث إنّها تساعد المتعلّم على اكتشاف الأدوات والروابط اللغوية والمنطقية التي ساهمت في تشكيل فقرات النص ومن ثمّة اتّساقه وانسجامه.

8- إجمال القول في تقدير النص: وهي آخر الخطوات في دراسة نص أدبي حيث يقوم الأستاذ من خلالها بصوغ مجموعة من الأسئلة لتمكين المتعلّمين من رصد تقدير عام للنص، حيث تهدف هذه المرحلة من تمكين المتعلّمين من تلخيص أبرز الخصائص الفنية والفكرية للنص مع التأكيد على فن الإبداع الذي نلتمسه من خلال أسلوب الأديب المستعمل في التعبير عن أفكاره ومعانيه التي تعكس فكره ورؤيته الجمالية بالدرجة الأولى وتفرّده عن غيره.

6. خاتمة:

يعدّ هذا البحث محاولة للكشف عن أهمية الممارسة النقدية في تحليل النص الأدبي وفهمه في مرحلة التعليم الثانوي، ولقد خلصنا في النهاية أنّ الأدب باعتباره ظاهرة من الظواهر الإنسانية هو ممارسة نقدية، ولا يمكن فهمه إلاّ بمعرفة أسس فن النقد وأصوله ومقوّماته ومجالاته في التطبيق، خاصة وأنّ هذا الأخير يستمدّ قوانينه وأسسه كغيره من الفنون الأدبية من المناهج النقدية والنظريات الحديثة والمعاصرة التي تبنّت مناهج العلوم الإنسانية المتمثلة في علم النفس بكل توجّهاته النظرية ومناهجه في التحليل النفسي، وعلم الاجتماع والتاريخ والفلسفة وغير ذلك، كما أنّ له دور كبير في إثراء النص الأدبي من خلال فحص مضامينه التي تشمل لغة النص وفكرته والعاطفة التي يحتويها وتقويم أساليبه والكشف عن مواطن القوة والضعف فيه، فالناقد المبدع هو من يستطيع من خلال سعة اطّلاعه الكبيرة وقراءاته المعمّقة الدقيقة والواعية لمختلف أنواع النصوص من قراءة نفسية الأديب وذلك بالتعرف على الظروف والملابسات التي دفعته لإنتاج نصه والمغزى من دراسته، فبالمران والممارسة يكتسب مهارة النقد التي تساعده على تقويم وتقييم كل المنجزات الأدبية والثقافية، وبالتالي يصبح قادرا على إصدار الحكم عليها وبيان قيمتها بطريقة ميسّرة. ومن هنا تتّضح طبيعة العلاقة التكاملية بين الأدب والنقد، فالنّقد هو روح كل دراسة أدبية، أمّا الأدب هو المصدر الأساس الذي تقوم عليه كل ممارسة نقدية، وبهذا يمكن القول أنّه لا وجود لنقد من غير أدب، حيث إنّهما يشكّلان وجهان أساسيان لعملة واحدة إن صحّ التعبير، فلا يمكن أن يقوم أحدهما بمعزل عن الآخر.

*** *** ***

7. الهوامش:

[1] ينظر، محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، طبعة دار الثقافة، دط، بيروت، 1973، ص19.

[2] مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984، ص417.

[3] أحمد أمين: النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، القاهرة، ص12.

[4] أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة العربية، دط، القاهرة، ص115.

[5] عبد الله جبريل مقداد: أضواء على النقد الأدبي، دار عمان للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 1977، ص117.

[6] عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط9، القاهرة، 2013، ص09.

[7] عبد القادر أبو شريفة: حسين لاقي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزّعون،ط4 الأردن، عمان، 1428هـ-2008م، ص10.

[8] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[9] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[10] علي محسن عطية: تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية، دار المنهاج، ط1، عمان، الأردن، 2007، ص265.

[11] ينظر، نظمي عبد البديع محمد: في النقد الأدبي، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دط الإسكندرية، 1987، ص 5-10.

[12] أحمد أمين: النقد الأدبي، ص14.

[13] ينظر، المرجع نفسه، ص31.

[14] المرجع نفسه، ص32.

[15] ينظر، المرجع نفسه، ص34.

[16] أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط2 بيروت، لبنان، 1985، ص09.

[17] ينظر، المرجع نفسه، ص10.

[18] المرجع نفسه، ص17-18.

[19] أحمد أمين: في النقد الأدبي، ص15.

[20] عبد القادر أبو شريفة، حسين لاقي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص07.

[21] عبد العليم إبراهيم: الموجّه الفني لمدرّسي اللغة العربية، دار المعارف، ط7، مصر، ص251.

[22] حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1 بيروت، 2007، 55.

[23] محمد راتب الحلاق: النص والممانعة، مقاربات نقدية في الأدب والإبداع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 1999، ص28-29.

[24] المرجع نفسه، ص29.

[25] الشريف مريبعي: دليل الأستاذ للسنة الثالثة ثانوي(وفق البرنامج الجديد)، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ص06

[26] Vigner. Geneard .lire du texte au sens. élément pour un apprentissasage un enseignement de la lecture. Paris.Clé internationale.1979.p10.

[27] وزارة التربية الوطنية: اللجنة الوطنية للمناهج، مديرية التعليم الثانوي، الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي، جميع الشعب، ماي 2006، ص06.

[28] أحمد إبراهيم صومان: أساليب تدريس اللغة العربية، دار زهران،دط، عمان- الأردن، 2003، ص308.[28]

المرجع نفسه، ص310.

[30] علي سامي الحلاق: المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية وعلومها، المؤسسة الحديثة للكتاب، دط، طرابلس، لبنان، 2010، ص330-331.

[31] عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص 252.

[32] حسن شحاتة: تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق،الدار المصرية اللبنانية، ط3، القاهرة، 1996، ص180.

[33] أحمد فرشوخ: تجديد دس الأدب، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء،2005، ص18.

[34] لحسن بوتكلاي: تدريس النص الأدبي من البنية إلى التفاعل، تقديم: محمد الخطابي، مطبعة إفريقيا الشرق، دط، المغرب، 2009، ص20.

[35] حسين شلوف وآخرون: المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة والموجهة، السنة الأولى من التعليم الثانوي جذع مشترك آداب، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2012-2013، ص06.